

اسم المادة: الإيمان بالله - توحيد الربوبية

من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: الإيمان بالله - توحيد الربوبية
من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

الحمد لله رب العالمين، قيوم السماوات والأراضين، وأشهد أن لا إله إلا الله وهو يتولى الصالحين، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، الصادق الوعد الأمين، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. أما بعد؛

مرحبا بإخواني الكرام، وهذا هو لقاؤنا الثالث ونحن نقرأ كتاب وندندن نحو كتاب الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة؛ لمؤلفه الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري –حفظه الله–.
واليوم موعدنا مع الإيمان وأركانه ومع الركن الأول الإيمان بالله تعالى.
قال مؤلفنا: "إن معتقد السلف الصالح أهل السنة والجماعة في تفسير الإيمان يتلخص في التصديق الجازم والاعتراف التام والإقرار الكامل بجميع ما أمر الله به –تعالى– ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، والانقياد له ظاهراً وباطناً، فهو تصديق بالقلب واعتقاده –أي اعتقاد القلب المتضمن لأعمال القلوب والجوارح– وذلك شامل للقيام بالدين كله، وأما معتقدهم في أصول الإيمان فيتلخص في التصديق بأركان الإيمان الستة كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– بذلك في حديث جبريل الطويل –عليه السلام– لما جاء يسأله عن الإيمان، فقال –صلى الله عليه وسلم–: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان يقوم على هذه الأركان الستة فهي كلٌ لا يتجزأ ولذا لا يصح إيمان العبد إلا بتحقق هذه الأركان كاملة، وإذا سقط منها ركن أو لم يتحقق؛ انهدم الإيمان وبطل.
يبقى هذه الأركان الستة كلٌ لا يتجزأ إذا انهدم منها ركن أتى على البنيان وأساسه فيخرج العبد من الإيمان ويبطل إيمانه، ولم يكن العبد مؤمن البتة ولا يقبل منه إيمانه بباقي الأركان، لأنه فقد ركن من أركان الإيمان.
فالإيمان لا يقوم إلا على أركانه تامة كما لا يقوم البنيان إلا على أركانه مكتملة، لذا لا يتم الإيمان إلا بأركانه الستة جميعاً على الوجه الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة، ومن جحد شيئًا منها فليس بمؤمن وإن ادعى الإيمان وقام ببعض أركان الإسلام.

أما الركن الأول فهو الإيمان بالله تعالى وهذا هو أصل الأصول وأصلٌ لما وراءه، فلا يتصور أن يؤمن الإنسان باليوم الآخر أو يؤمن بالملائكة أو يؤمن بالرسل أو يؤمن بالقدر وهو ليس بمؤمن بالله –سبحانه وتعالى–، هذا غير متصور في العقول، وإن وقع فلا شك أنه قد فقد الأصل والأساس الذي يقوم عليه ما بعده من الأركان.



فالإيمان بالله –تعالى– هو التصديق الجازم والإقرار الكامل والاعتراف التام بوجود الله –جل وعلا– وبربوبيته –سبحانه–، أي أنه خالق كل شيء وربه ومليكه ومدبره، وبألوهيته أي استحقاقه وحده العبادة، وبأسمائه وصفاته أي اتصافه بكل صفات الكمال ونعوت الجلال والأسماء الحسنى، لا شريك له في شيءٍ من خصائصه، والقيام بمقتضى هذا الإقرار علما وعملاً أي اطمئنان القلب بذلك اطمئنانًا ترى آثاره في سلوك العبد والتزام أوامره واجتناب نواهيه.

والإيمان بالله –تعالى– هو أساس العقيدة الإسلامية ولبها، فهو الركن الركين وأصل الأصول، وكل أركان العقيدة مضافة إليه وتابعة له، فالإيمان بالله –تعالى– يتضمن الإيمان بوحدانيته واستحقاقه للعبادة وبأسمائه وصفاته، وأما وجوده وربوبيته –تعالى– فأكبر الحقائق على الإطلاق وهو من المسلمات التي لا شك فيها البتة، وقد دل عليه –أي على أصل وجوده –سبحانه وتعالى– الفطرة السليمة والعقل الصحيح والحس عند الإنسان والشرع المنزل، ولذلك لم ينكر وجود الله –تعالى– ولا ربوبيته –عز وجل– إلا شذاذ بني آدم، كالدهريين قديمًا الذين حكى الله –عز وجل– مذهبهم في الكتاب العزيز قالوا: "إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ" المؤمنون:٣٧، وأمثالهم من الملاحدة المعاصرين والشيوعيين والذين يعتبرون الإله مادة، وهذه الأقوال التي تخالف كما ذكرنا ما هو مركوز في فطرة الإنسان، وما اجتمع عليه عقلاء البشر وأثبت الحس من حول الإنسان بوجوده في كل المناحي، في نفسه وفي ما حوله، وكذلك جاءت الشرائع: الكتب المنزلة والرسل جميعاً جاءوا لإثبات هذا الأصل، ولذلك كان يقول بازماك المؤرخ الإغريقي المشهور لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ولا قصور ولا سدود ولا قناطر ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد، فحاجة الإنسان إلى معبودٍ يعبده حاجة فطرية لا يستطيع أن يُسكتها، لأنها مركوزة في أصل خلقته، والعقل السليم دل على هذا.

ولذلك إحنا بنشوف الناس عباد الأوثان حينما يعاينون أسباب الهلاك والموت تنزاح عنهم هذه الأقوال الباطلة المخالفة للفطرة والعقل والشرع والحس، ويفزعون إلى الله –عز وجل– الذي كانوا يجحدونه ويشركون معه حتى إذا ركبوا في الفلك "وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ" يونس:٢٢، ولذلك لما سئل الأعرابي بم عرفت ربك؟ قال: إن البعرة لتدل على البعير، وان الأثر ليدل على المسير، فسماءٌ ذات أبراج وأرضٌ ذات فجاج أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير –سبحانه وتعالى–؟!

والعقول السليمة كلها تشهد لله –عز وجل– إنها لا تحتاج برهان كما كان يُقال كيف يطلب البرهان على من هو دليل كل شيء؟

ولذلك كان يقول الشاعر:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيونٌ من لجين شاخصاتٌ ... بأحداق هي الذهبُ السبيكُ
على قُضب الزبرجد شاهداتٌ ... بأن الله ليس له شريكُ

والحس عند الإنسان كم من داع يدعو الله –سبحانه وتعالى– فيجد أن الله –سبحانه وتعالى– يستجيب دعاءه، "أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ" النمل:٦٢، دعا الأنبياء ودعا الصالحون بل وكما ذكرنا دعا المشركون عباد الأوثان واستجاب الله –عز وجل– لهم على ظلمهم وكفرهم وبعدهم عن عبادة الله ليُمهلهم –سبحانه وتعالى– وهذا من تمام علمه وحلمه ورأفته بخلقه –سبحانه وتعالى–، لأن عذاب الخلق ليس مراد له –عز وجل–، ولكن هم يتسأهلونه ويسعون إليه جاهدين معاندين الفطرة ومعاندين للشرع المنزل ومعادون للرسل وللكتب وللعقول الصحيحة، فاستأهلوا هذا، ولذا قال الله –تعالى–: "مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا" النساء:١٤٧.



فالحس من حولنا شاهدٌ بهذا الأمر، ولذلك ما من داعٍ يريد أن يدعو ربه إلا ويجد قلبه ينحو نحو العلو حيث الفطرة التي دلت الإنسان وعرفته أن ربه عالٍ علي أعلى –سبحانه وتعالى– من كل شيء.

والشرع المنزل وهذا فيه الآيات والأحاديث كثيرة جداً وسنذكرها إن شاء الله –تعالى– أو ما تيسر منها حسب ما ذكر مؤلفنا.

قال: "ومن الإيمان بالله –تعالى–: الإيمان بوحدانيته"، يبقى عموماً الإيمان بالله –تعالى– بيشمل أربع أمور:

– الإيمان بوجوده –عز وجل–.

– الإيمان ربوبيته.

– الإيمان بألوهيته.

– الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

وذلك بالإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة واعتقادها والعمل بها، وهذه الأنواع هي توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

النوع الأول من أنواع التوحيد وهو توحيد الربوبية ومعناه: الاعتقاد الجازم والإقرار الكامل والاعتراف التام بأن الله وحده رب كل شيء –عز وجل– ومالكه وخالقه ورازقه.

يبقى تعريف توحيد الربوبية أن معناه: الاعتقاد الجازم والإقرار الكامل والاعتراف التام بأن الله –تعالى– وحده رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه لا شريك له ولا ند له، ولا سمي له، حي لا يموت، قيوم لا ينام، منزه عن النقص والعجز والعيب، بديع السموات والأرض، مدبر العالم والمتصرف فيه والقادر عليه –سبحانه وتعالى–، وكذلك من الإقرار بربوبيته –عز وجل– أنه –سبحانه وتعالى– له الحكم، وأنه –عز وجل– له الأمر كله –سبحانه وتعالى–، وبيده الخير كله، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل من في السماوات ومن في الأرض عبد له وفي قبضته تحت قهره وسطوته –سبحانه وتعالى– وسلطانه، والإيمان بقضاء الله وقدره، والإقرار بعدل الله –تعالى– في كل ما يقدره وبوحدانيته في ذاته وأفعاله.

وخلاصته –يعني خلاصة توحيد الربوبية– هو توحيد الله –تعالى– وإفراده بأفعاله، ولذا قال الله –تعالى–: "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ" الأنبياء:٢٣، لأنه منزه أن يُسأل –عز وجل– عن أفعاله، فهو ملك مقتدر –سبحانه وتعالى– يعلم ونحن لا نعلم، ولربما يرى الإنسان في أمر يقع له من مقادير الله –عز وجل– أن الهلكة فيه وهي عين النجاة. وانظر إلى السحرة الذين جاءوا ينصرون الباطل والكفر وما ادعاه هذا الفرعون ويريد أن يُقنع الناس به بدجله وبما يستخدمه السحرة ويتفننون فيه، فإنهم وهو ينصرون الباطل كانوا على شفى هلكة وقد جاءوا في الصباح قولا واحداً ولم يلتفتوا إلى وعظ موسى –عليه السلام– ونصحه لهم ألا يفعلوا الباطل "وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ" الشعراء:٤٤، ولما رأوا من آيات الله –عز وجل– ما أبان لهم الحقيقة وشرح صدورهم للإيمان وعلموا أن ما يتعاطاه موسى –عليه السلام– ليس من جنس حيلهم وتخييلهم لأعين الناس، فشرح الله –عز وجل– صدورهم للإيمان وخرجوا لله –عز وجل– ساجدين، وآمنوا برب موسى وهارون، وتوعدهم الفرعون وقتلهم وصلبهم وعذبهم عذابا أليمًا لكن هذا لم يُثنهم، فإن كان الظاهر أن في هذا التلف والعطب وذهاب مهج أنفسهم لكنهم وقعوا عند الله –عز وجل– بمكانٍ عال، وهم لم يصلوا ولم يؤدوا شيئاً من شعائر الدين سوى أن آمنوا وهذا هو أصل الأصول الذي به نجاة العالمين جميعاً.

فلذلك قامت الأدلة الشرعية على وجوب الإيمان بربوبية الله –تعالى–. والقرآن العظيم مليئ بذكر الأدلة على ربوبية الله –تعالى–، ولا تكاد سورة من سوره تخلوا من ذكره أو الإشارة إليه فهو الأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى.

قال الله –تعالى– في مفتتح كتابه العظيم: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، وقال –تعالى–: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" الأعراف:٥٤، ولذلك هناك ارتباط عظيم الصلة وثيق الصلة بين خلقه –سبحانه وتعالى– وبين أمره بعبادته –عز وجل– أَلَا لَهُ الْخَلْقُ فكما له الخلق لا



ينازعه في هذا الخلق أحد ولم يأت مدع يدعي أنه خلق نفسه أو خلق غيره أو خلق شيئاً من خلق الله –تبارك وتعالى–، فكذلك ينبغي التسليم بالثانية والتي ما وُجِدت الأولى إلا لأجل هذه الثانية "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦.

وقوله –تعالى–: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" البقرة:٢٩.

وقوله –عز وجل–: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" الذاريات:٥٨.

وقوله –عز وجل–: "قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ" المؤمنون:٨٨.

وهذا النوع من التوحيد أقر به في الجملة كفار قريش وأكثر أصحاب الملل والمهن والديانات، والمشركون القدامى الذين بعث الله إليهم الرسل، فكلهم كانوا يعتقدون ويقرون بأن الله خالق العالم ومن فيه ورازق المخلوقات جميعاً، هو الله وحده قال الله –تعالى– عنهم: "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" لقمان:٢٥، والذين يردون هم المشركون، وربما هم المعاندون للرسل، وربما عاشوا وماتوا وهم يعتقدون هذا، حينما يسألون هذا السؤال يموتون على الكفر ومع ذلك كانوا يقرون بأن الله –سبحانه وتعالى– هو الذي خلق السماوات والأرض.

وقال –تعالى–: "قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ" يونس:٣١، وذلك لأن قلوب العباد مفطورة على الإقرار بربوبيته –جل وعلا–، ولم ينكر هذا التوحيد إلا الدهرية فيما سلف، والشيوعية في زماننا هذا.

لذا فإن هذا النوع من التوحيد لا يُدْخل صاحبه في دين الإسلام –أي وحده– يعني دون بقية أنواع التوحيد، فلو أقر بأن الله هو الرب وهو الخالق وهو الرازق وهو المدبر ووقف عند هذا الحد ولم يعبد ربه –عز وجل– ولم يشرك به شيئاً ولم يؤمن بأن له أسماء حسنى وصفات عُلَى ويتعبده بها، فإنه ليس بمسلم ولا بمؤمن، لأن الله لم يجعل هؤلاء الذين ردوا بهذه المقالة وأقروا بأن الله هو خالق السماوات والأرض ورازق ما فيهن ومن فيهن ومالك للسمع والأبصار وهو مدبر –سبحانه وتعالى– شأن هذا العالم، وأنه –سبحانه وتعالى– يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لم يصفهم الله –سبحانه وتعالى– بأنهم قد آمنوا بهذه المقالة. فلذلك هذا النوع من التوحيد لا يُدْخل صاحبه في دين الإسلام ولا يعصم دمه وماله ولا ينجيه في الآخرة من عذاب النار والخلود فيها، حتى يلتزم بالنوع الثاني من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية وهذا ما سيكون عليه الحديث بمشيئة الله –عز وجل– في لقائنا القادم بإذن الله –تعالى–.

ملخص ما ذكرناه في لقائنا اليوم أن أهل السنة والجماعة والسلف الصالح رحمهم الله –تبارك وتعالى– كانوا يقولون في تفسير الإيمان بأنه يتلخص في التصديق الجازم والاعتراف التام والإقرار الكامل بجميع ما أمر الله –عز وجل– به ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، والانقياد لهذه الأوامر ظاهراً وباطناً، فهو تصديق بالقلب واعتقاد القلب المتضمن لأعمال القلوب والجوارح. وذلك شامل للقيام بالدين كله.

وأما الاعتقاد في أصول الإيمان فهو الإيمان بالأركان الستة الواردة في الحديث المتفق عليه حديث جبريل –عليه السلام–، وأنه أتى يعلم الصحابة دينهم وجاء في صورة السائل الحديث المشهور، ولما سأل جبريل نبينا –صلى الله عليه وسلم– قال: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. قال: صدقت. فقال الصحابة: فعجبنا له يسأله ويصدقه.

وأن الركن الأساس في هذا هو الإيمان بالله –تعالى–، وأن هذا يشمل أربعة أمور كما ذكرنا الإيمان بوجوده –عز وجل– والإيمان بربوبيته –سبحانه وتعالى– والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته.

وذكرنا كما ذكر المؤلف توحيد الربوبية وذلك أنه خلاصته هو توحيد الله وإفراده بأفعاله –عز وجل–، وأن من مقتضيات الإقرار بتوحيد الربوبية: أن الله –عز وجل– وحده رب كل شيء –سبحانه وتعالى–، ومالكه وخالقه ورازقه، لا شريك له، ولا ند له، ولا سمي له، حي لا يموت، قيوم لا ينام، منزه عن النقص والعجز والعيب، بديع السماوات والأرض مدبر العالم والمتصرف فيه –سبحانه–.



فكل ما ينافي هذه المعاني فهو منافٍ لإقرار العبد بتوحيده لربه –سبحانه وتعالى–، واحنا عارفين إن كلمة رب في لغة العرب لها معانٍ كثيرة منها: أنه المالك وأنه السيد وأنه المدبر وأنه الولي وأنه المنعم وأنه القيم وغير ذلك من معان العظيمة، وكلها صحيحة في تفسير الربوبية لله –سبحانه وتعالى–، فلا منازع له في خلقه ولا في ملكه ولا في تدبيره –سبحانه وتعالى–، وأنه –عز وجل– كما خلق الخلق فهو يرزقهم وحده –سبحانه وتعالى– لا رازق لهم إلا هو –عز وجل–، وأنه مدبر أمرهم –تبارك وتعالى–، "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك:١٤، **وأنه –سبحانه وتعالى– هو الذي يحيي الناس ويميتهم ويهديهم ويضلهم –عز وجل– لا شريك له.**

نسأل الله –سبحانه وتعالى– الرب الكريم أن يهبنا إيماناً راسخًا وأن يوفقنا للوصول إلى حلاوة الإيمان، وإلى رسوخ الإيمان، ونسأله –عز وجل– أن يحيينا على هذا الإيمان، وأن يميتنا عليه –سبحانه وتعالى–، فيعطينا ما وعد الله –سبحانه وتعالى– عباده المؤمنين في الدار الآخرة: الدرجات العلى والنعيم المقيم، نسأله تبارك وتعالى أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته